البناء النظري للأمن الهوياتي في بناء الدولة والمجتمع

Theoretical Constructions of Identity Security in Building Society and State

بوهدة خير الدين [1]*

[1]جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر)، bkheire2015@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/30 تاريخ القبول: 2021/12/06 تاريخ النشر: 2022/01/31

ملخص:

إنّ الأمن وانعدامه ليس شكلا خارجيا أو غريبا عن عالمنا اليوم، حيث يتم تشكيله من خلال فهمنا لما هو معقد أو غامض، ويصعب تحليله في بعض الأحيان و هذا ما يهدد الأمن وأشكاله وينعكس على الهوية المرتبطة به، فهي مكوّن أساسي في بناء الأمن أو انعدامه فالهوية عادة ما تكون بعيدة في تهديد بيئتنا (مجتمعنا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي). وإذا أردنا أن نبني ونفهم الصورة عن الدور الذي يلعبه في تهديد ذاتنا وهويتنا، من هنا لابد من التطرق إلى أهم النظريات الاجتماعية التي كتبت عن مفهوم الأمن الهوياتي. وعليه فإنّ هذه الورقة تطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت النظريات الاجتماعية، في فهم الأمن الهوياتي للدولة والمجتمع؟ مستهدفا من هذه الإشكالية إبراز أهم النظريات التي ساهمت في تفكيك وفهم هوية الفرد والمجتمع وهذا في إطار الدولة الواحدة. مسقطا أمثلة من الواقع المعاصر في بعض الدول الإفريقية والأسيوية والأوروبية.

كلمات مفتاحية: الأمن، الهوية، الأمن الوطني، النظرية البنائية، نظرية الهوية الاجتماعية.

Abstract:

The concept of security is created from a thing that has been multifaceted in which influenced our identity. In order to understand and drew the image of the role played by insecurity in the threat within , we must address the most important and prominent social theories that have been written about the concept of identity security, because only those assumptions and argument can one find solutions to any problem related to Identity Security. This paper is an attempt to raise the following problem; to

what extent did social theories contribute to understanding the identity security of the state and society? And the aim of this research is to highlight the most prominent theories that contributed to understand the identity of the individual and society positively and negatively in the framework of one State. Some states from Africa, Asia and Europe are case studies.

Keywords: Security, Identity, National security, Structural theory, Social Identity.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

بعد أن تحول المنظرون البنائيون إلى العلاقات الدولية وهذا في ثمانينيات القرن العشرين أصبحت الهوية والأمن مفهومان يتممان بعضهما البعض. ولقد لعبت مجموعة من النظريات الاجتماعية وعلىرأسها النظرية البنائية في اكتشاف العلاقة بين الأمن وعوامل أخرى وهذا في بناء الأمن الهوياتي.

فالأمن والهوية مفهومان متشابهان ومرتبطان بعمق في العديد من المستويات المختلفة حيث أنه لا يمكن الفصل بينهما؛ لذلك نجد العديد من الباحثين والعلماء المختصين والأكاديميين يتفقون مع هذا التشابه. غير أن الواقعيين الجدد يتجاهلون هذه المقاربة ذلك أنهم يلغون دور الهوية في البناء الأمني بينما ركزت هذه النظريات (السابقة) وبشكل أساسي على أمن الدول. غير أن مدرسة كوبنهاغن ركزت علي فكرة الأمن المجتمعي ودوره في بناء وحماية الهوية. وعليه فإن هذه الدراسة التي تحاول أن تعالج و تطرح أهم النظريات التي طرحت موضوع الأمن الهوياتي، والذي ظهر بشكل ملفت مع بداية القرن الحادي والعشرين. وعليه فإن الإشكالية التي تطرحها هذه الورقة هي: إلى أي مدى ساهمت النظريات الاجتماعية في فهم الأمن الهوياتي للدولة والمجتمع؟ مستهدفا من هذه الإشكالية إبراز أهم النظريات التي ساهمت في تفكيك و فهم هوية الفرد والمجتمع سواء كانت إيجابية أو سلبية وهذا في إطار الدولة الواحدة؛ ونسقط هذه النظريات بأمثلة على الواقع المجتمعي التي تعيشه الدول المتقدمة والنامية، وكيفية تأثير بعض هذه الظواهر على هويات تلك الدول.

إن مفهوم الهوية هو مفهوم واسع ومتشعب لأنه يشمل الفرد والمجتمع والإنسانية شاملة. حيث أصبح مفهوم الهوية في أجندة العلاقات الدولية يجلب انتباه المحللين السياسيين والاجتماعيين خاصة بعد نهاية الحرب الباردة من خلال التحول البنائي في نظرية العلاقات الدولية. وكان علي رأس المنظرين في ربط الهوية بالعلاقات الدولية AlexanderWendt حيث يري أن الهوية هي نتيجة التفاعلات البنيوية التي تشير إلي المصالح وتحدديها، وعليه فإن تحديد هوية الدولة هي نتاج داخلي لها. (ElnurHasanMikail, 2016).

لتحليل هذا الموضوع نظريا وفهمه موضوعيا لابد من إسقاطه في إطاره النظري،حيث تعددت النظريات في تحليل وطرح هذا الموضوع، وعليه فإننا نحاول أن ندرج أهم النظريات التي ساهمت في فهم وطرح هذا الموضوع ونذكر منها: نظرية الهوية الاجتماعية، النظرية الأمننة والنظرية البنائية.

قبل البدء في التحليل، لابد من شرح أهم المصطلحات التي يتركز عليها هذا البحث: الأمن، والهوية الاجتماعية، فهما الركيزتان الأساسيتان في هذا التحليل. ثم نحلل أهم النظريات التي لها علاقة مباشرة بالتحليل والإشكالية المطروحة، مع إسقاطات لتلك النظريات بدول في إفريقيا وأسيا وأوروبا و هذا لتجسيد الطرح النظري بالواقع.

2.أهم مصطلحات البحث

1.2 الأمن:

إن أهم مفكر الذي يمكن أن نشير إليه والذي جسد مفهوم الأمن بعد نهاية الحرب الباردة هو باري بوزان،(BarryBuzan)، ففي كتابه People, States and Fear ، يتجه لمفهوم أوسع لمستويات القطاعات الأمنية. (STONE, 2009). ففي مقاله «الأنماط الجديدة للأمن العالمي في القرن الحادي والعشرين"، يحلل بوزان كيف يمكن أن تؤثر خمس قطاعات في الأمن (السياسي، العسكري، الاقتصادي، المجتمعي والبيئي) تلك الأطراف لها دور هام في بناء الهوية المجتمع والدولة وتعتبر متغيرات تقع في المركز. (Buzan, 1991) بالنسبة لبوزان تعتبر القطاعات الخمسة جد مهمة في فهم الأمن بكل قطاعاته. ونهج بوزان مثير للاهتمام لأنه ينظر إلى الأمن من جميع الزوايا من الجزئي إلى الكلي، ويتناول أيضا الجوانب الاجتماعية للأمن وكيف يقوم الناس أو المجتمعات ببناء أو"أمننة" التهديدات. ويعرف بوزان الأمن" هو التحرك الذى يأخذ السياسة إلى ما وراء القواعد المعمول باللعبة ويؤطر القضية إما كنوع خاص من السياسة أو فوق السياسة" (Wæver، 2003)، ويضيف بوزان" يقيس الأمن، بأي معنى موضوعي، عدم وجود تهديد للقيم المكتسبة بمعنى ويكي، غياب الخوف من مهاجمة هذه القيم" ويعرف المفكر Wolfers الأمن بأنه «تلك القيمة التي يمكن أن تمتلكها أمة أكثر أو أقل والتي يمكن أن تطمح إلى الحصول عليها بدرجة أكبر أو أقل." (Baldwin, 1997)عموما هناك العديد من التعريفات من قبل المفكرين والأكاديميين و النظريين، تصب معظمها في اتجاه واحد باستثناء Buzan الذى عرف الأمن من عدة زوايا، يهدف من وراء ذلك توضيح أهمية الأمن في بناء الدولة ومجتمعاتها في إطار مؤسساتي.

2.2 الهوية الاجتماعية:

عندما نذكر الهوية الإجتماعية في الإطار الأكاديمي لابد من ذكر هنري تاجفيل (HenriTajfel) صاحب نظرية الهوية الاجتماعية في علم النفس فالهوية الاجتماعية التي عرفها بأنها «إحساس الشخص بهويتهم بناء على عضويتهم الجماعية".

(McLeod, 2019)،اقترحTajfel أن المجموعات (مثل الطبقة الاجتماعية والأسرة وفريق كرة قدم وما إلى ذلك..) التي ينتمي إليها الناس كانت مصدرا مهما للفخر واحترام الذات. تمنحنا المجموعات إحساسا بالهوية الاجتماعية: شعورا بالانتماء إلى العالم الإجتماعي. (Tajfel، 1986)

وتشرح النظرية الهوية الاجتماعية أنها تستمد الاحترام من مجموعة يتعاطفون معها بشكل إيجابي، وبالتالي هم يفضلونها. يقومون بتخصيص المزيد من الموارد للمجموعة الداخلية لتعظيم الفرق بين المجموعة داخل المجموعة والمجموعات الخارجية من أجل تحقيق مثل هذه التعريفات. هذا هو الأساس "المركزية العرقية"، وهو مفهوم شائع في التواصل بين الثقافات. التعصب العرقي هو اعتقاد يتم ملاحظته على نطاق واسع بأن المجموعة العرقية للفرد تتفوق على المجموعات العرقية الأخرى. (Chi, 2015)، وإذا أراد الواحد منا أن يميز بين الهوية الشخصية والاجتماعية، فإن Moreland عرض أن الشعور بالهوية الاجتماعية يتطور عندما يصنف الناس أنفسهم كأعضاء في مجموعة دون أخرى. (Nancy L. Ras, 2012)

إن التعريف الاجتماعي من خلال التنشئة الاجتماعية التنظيمية له تأثير قوي على طرق التفكير وسلوك عضو المجموعة الجديد. إن من هذا التعريف يزيد جوانب السلوك بالنسبة لمعايير المجموعة حيث أن "التعريف يحفز الفرد علي الانخراط في الأنشطة المتوافقة مع الهوية والحصول على الرضا منها، لأنها نموذج للمجموعة ولتعزيز العوامل المرتبطة تقليديا بتكوين المجموعة" (Nancy L. Ras, 2012).

3.أهم نظريات الأمن والهوية في بناء الدولة

1.3نظرية الهوية الاجتماعية :(Social IdentityTheory)

ترى نظرية الهوية الاجتماعية أنّ إحساس الشخص بهويته يعتمد على المجموعات التي ينتمي إليها، ويرجع تاريخ نظرية الهوية الاجتماعية إلى علماء النفس الاجتماعيين البريطانيين نذكر منهم: هنري تاجفيلHenriTajfel وجون تورنرJohnTorner وهذا عام 1979؛ وتوضح نظرية الهوية الاجتماعية أن جزءا من مفهوم الذات للشخص يأتي من المجموعات التي ينتمي إليها ذلك الفرد، ذلك أنه ليس لديه هوية واحدة فقط بل هويات متعددة مرتبطة بمجموعات تابعة لها، وقد يتصرف الشخص بطريقة مختلفة في سياقات اجتماعية متباينة وفقا للمجموعات التي يتكون منها التي قد تشمل فريقا رياضيا يتبعه وعائلته وبلد جنسيته والجيران الذين يعيشون معه وهناك العديد من الاحتمالات الأخرى . (Tajfel, 1986)

فعندما يدرك الشخص نفسه أنه كجزء من المجموعة وهذا ما يعرف أنه في مجموعة تابعة له (In-group)) وتسمى المجموعات الأخرى المماثلة التي لا يتعرف عليها الشخص بخارج المجموعة (Out-group) بمعنى آخر نحن مقابل المجموعة الأخرى، وهناك ثلاث عمليات تقوم بإنشاء عقلية المجموعة: (Twente, 2003-2004)

1. التصنيف الاجتماعي: نقوم بتصنيف الأشخاص لفهمهم والتعرف عليهم وتشمل بعض الامثلة عن الفئات الاجتماعية (السود، البيض، الأستاذ، الطالب، الجمهوري، الديمقراطي ...الخ) وبمعرفة الفئات التي ننتمي إليها يمكننا فهم أشياء عن أنفسنا ويمكننا تحديد السلوك المناسب وفقا للمجموعات التي ننتمي إليها نحن والآخرين ويمكن للفرد أن ينتمي إلى مجموعات متعددة في نفس الوقت.

الهوية الاجتماعية: نحن ننتمي لهوية المجموعة التي ننتمي إليها ونتصرف بطرق نراها تتماشى وتصرفات تلك المجموعة، على سبيل المثال (إذا حددت أنك تنتمي إلى الحزب الجمهوري فتتصرف على الغالب ضمن معايير تلك المجموعة أو ذلك الحزب) وكنتيجة لتعرفك على تلك المجموعة تزداد ارتباطا بها خاصة في بناء هويتك وسوف تعتمد على احترام الذات الخاص بك . (Twente, 2003-2004)

مقارنة اجتماعية: بعد تصنيف أنفسنا داخل المجموعة والتصرف على أننا أعضاء فيها، فإننا نميل إلى مقارنة مجموعتنا (المجموعة الفرعية) ضد مجموعة أخرى (المجموعة الخارجية) وذلك للحفاظ على احترام ذاتك. ستقوم أنت وأعضاء مجموعتك بمقارنة مجموعتك بشكل إيجابي مقابل غيرها وهذ يساعد على تفسير التحامل والتمييز لأنّ المجموعة تميل إلى رؤية أعضاء الجماعات المتنافسة سلبا لزيادة الثقة بالنفس . (Tajfel, 1986)

عند مقارنة المجموعات هناك بعض الأشياء التي تميل إلى الحديث في عملية المقارنة بين المجموعة الفرعية والمجموعة الخارجية كما هو مذكور أعلاه يميل أعضاء المجموعة إلى:

- تفضيل داخل المجموعة على خارجها.

عظيم الفروق بين المجموعة الداخلية والخارجية ومن الضروري الحفاظ على أنّ المجموعات متميزة إذاكان الشخص يفضل مجموعة على مجموعة أخرى (Tajfel, 1986).

- التقليل من أدراك الاختلافات بين أعضاء المجموعة وهذا ما يزيد من التماسك بين المجموعات.

- لتذكير بالمزيد من الأمور الإيجابية على المجموعة الداخلية والمزيد من الأمور السلبية حول المجموعة الخارجية.

يوجد جانب آخر رئيسي لنظرية الهوية الاجتماعية هو اعتبار أنّ السلوك الاجتماعي يقع على سلسلة متواصلة تتراوح من السلوك بين الأشخاص إلى السلوك بين المجموعات؛ وتتطلب معظم المواقف الاجتماعية حل وسط بين طرفي السلسلة ، وكمثال على ذلك يقترح هنري تاجفيل أن الجنود الذين يقاتلون جيشا معارضا يمثلون سلوكا معينا وثابتا ويَمتثلون لأوامر تلك المجموعة. فنظرية الهوية الاجتماعية لها تأثير كبير على علم النفس الاجتماعي، ويتم اختباره في مجموعة واسعة من المجالات والإعدادات ويشمل التحيز، والصور النمطية، والتفاوض واستخدام اللغة، والنظرية لها أيضا آثار على الطريقة التي يتعامل بها الناس مع التغيير الاجتماعي والتنظيمي. (Rowling, 2019)

وحتى تتضح الفكرة، في جنوب إفريقيا ،كان يهدف مانديلا إلى خلق مجتمع غير عنصري بعد انتقال جنوب إفريقيا السلمي نسبيا من نظام سياسي قمعي وعنصري إلى نظام ديمقراطي، حيث عزز مانديلا الوعي ببناء السلام وهذا من خلال محاولة استبدال الروابط العرقية بهوية وطنية شاملة و تعزيز الوحدة من ثم فإن نهج مانديلا يعكس نموذج الهوية المشتركة داخل المجموعة. (InesMeyer, 2016) والذى يُفترض أن الهوية المشتركة داخل المجموعة تعمل على تقليل التحيز ويتحرر المظلومون من الاضطهاد منم خلال هويته الاجتماعية.

ونتيجة لذلك، اتسمت السنوات الأولى من الديمقراطية في جنوب إفريقيا بالاعتزاز والفخر ويمكن القول أنها كانت أقل تركيزا على الهويات العرقية من أي نقطة أخري في تاريخ جنوب إفريقيا، وهذا ما يعكسه خطاب مانديلا، ذلك أنه أغفل إلى حد كبير الإشارة الصريحة إلى المجموعات العرقية، حيث استخدم بدلا من ذلك توحيد الفوقية. (InesMeyer، 2016).

2.3 نظرية الأمننة(SecuritizationTheory):

تم صياغة المفهوم الأمننة وربطه بالعلاقات الدولية من قبل أول وايفرOleWaever (مدرسة كوبنهاجن) وعمل به أكثر ووضعه في إطاره المنهجي بوزان باري BarryBuzan عام 1998، وعلى الرغم من أن كتابات هذا المفهوم تعود إلى 1998غير أن BuzanBarry يعتبر هو الذي عالج هذا المفهوم ووضعه بشكله الد

قيق في مدرسة Copenhagen فهو إذن مرتبط بهذه المدرسة (Eroukhmanoff, 2018).

تبين لنا هذه النظرية أنّ سياسة الأمن الوطني ليست طبيعية ويصعب ضبطها بشكل تام فهي متغيرة، لكن يتم تحديدها بعناية من قبل السياسيين وصناع القرار إلي حد ما، ووفقا للنظرية الأمننة فإنّ القضايا السياسية تشكل قضايا أمنية متطرفة يجب التفاعل معها على وجه السرعة، وذلك عندما يتم وصفها بالخطيرة، تهديدية، مزعجة وما إلى ذلك، من قِبَلِ فاعل لديه السلطة الإجتماعية والمؤسساتية لتحريك المشكلة وراء السياسة، لذا فإن القضايا الأمنية الخارجة هناك يجب أن يعبر عنها بوضوح على أنها مشاكل يجب تأمين الفاعلين بها. (Eroukhmanoff, 2018) فعلى سبيل المثال تعتبر الهجرة تهديد أمني وطني، فتتحول مسألة الهجرة من اهتمام سياسي ذوي أهمية منخفضة الى قضية ذات أولية عالية يتطلب إجراءات مثل تأمين الحدود. فنظرية الأمننة إذن تتحدى الطرق التقليدية للأمن في النظام الدولي، وتؤكد أن المشاكل ليست هي تهديدا لذاتها أو في ذاتها، وبدلا من ذلك فهي قضية أمنية تتحول بعد ذلك إلى مشكلة أمنية. لقد قسم منظرو النظرية الأمننة إلى خمس قطاعات: الاقتصادي، المجتمعي، العسكري، البيئي، والسياسي؛ وفي كل قطاع يتم التعبير عن تهديد محدد لتهديد كائن مرجعي. (Gearon, 2019) على سبيل المثال في قطاع المجتمع يكون الكائن المرجعي هي الهوية، في حين أن الكائنات المرجعية في القطاع البيئي هو النظام البيئوي الأنواع المهددة بالانقراض، فقط في القطاع العسكري يبقى الكائن المرجعي هي الدولة. فمن خلال تأمين الأمن ندرك أن التهديدات الوجودية ليست موضوعية وإنما تتعلق بخصائص مختلفة لكل كائن مرجعي، هذه التقنية تبرز أيضا الطبيعة السياقية للأمن والتهديدات، فالهجمات الأمنية على سبيل المثال تشكل مصدر قلق أكبر لدى بعض الناس اليوم أكثر من غيرها.

إن مركز النظرية التأمينية تظهر البنية الملائمة لصناع القرار عند صياغة قضية ومحاولة إقناع الجمهور لرفع القضية فوق السياسة، و هذا ما نسميه "قانون الكلام "فبالكلمات يتم عمل شيء ما مثل الرهان، إعطاء وعد وإلى غير ذلك. (Gearon, 2019)

إنّ التصور الأمننة كفعل عملي هو جد مهم لأنه يظهر أنّ الكلمات لا تصف الواقع فحسب بل تشكل حقيقة وهذا ما يؤدي إلى ردود معينة.

في عملية وصف الواقع الذي نراه نتفاعل أيضا مع هذا العالم ونقوم بعمل نساهم بشكل كبير في رؤية ذلك الواقع بطريقة مختلفة، على سبيل المثال: الإشارة إلى

معسكر الهجرة في Calais بشمال فرنسا على أنه أدغال ولا يصف ببساطة ما هو المعسكر حقا، بل يصور على أنه مكان مخالف للقانون وخطير، ومن ثم فإنّ التهديدات ليست مجرد تهديدات بطبيعتها ولكنها تبنى كتهديدات من خلال اللغة المستعملة داخله.

على سبيل المثال يمكن ملاحظة الأمننة الصينية اتجاه عدة دول في المحيطين الهندي والهادئ. حيث حددت وزراه الدفاع اليابانية في تقاريرها على أن الصين "تواصل التصرف بطريقة جد حازمة لتغير الوضع في المنطقة وتغير الوضع الراهن بأية وسيلة ودون مساومة"، بالإضافة إلى ذلك شبه رئيس الوزراء الياباني، سينزو آبي، العلاقة بين اليابان والصين بعلاقة إنجلترا وألمانيا عشية الحرب العالمية الأولى، مشيرا إلى اعتقاده بأن القوتين على وشك الدخول في خراع خطير. ولا ننسى أيضا أن ذكر ما ردده الرئيس الفلبيني السابق بنينو أكينو الثالث، وأكد ما قاله آبي من خلال مقارنة تصرفات الصين الحازمة بألمانيا النازية في جنوب بحر الصين. (BibekChand, 2017) وبالمثل، أعرب رئيس الوزراء الفيتنامي السابق، نجوين تان دونج، عن مخاوفه من سياسات الصين الخازمة في المنطقة مشيرا إلى أن الصين تنتهك القانون الدولي وأن الفيتنام مصممة على معارضة انتهاكات الصين. حتى أندونسيا التي حاولت أن تظل محايدة في النزاعات، بدأت تأخذ تحركات الصين في المنطقة على محمل الجد بما يكفي للبدء في رفع مستوي قدرتها العسكرية في جزر ناتوناس، والتي ترى الصين أنها منطقة تابعة لها. حيث جدد الرئيس الإندونيسي جوكو ويدودو دعمه لحل سلمي لنزاع منطقة جنوب بحر الصين، بينما قال إن خط الصين في النقاط التسعة في جنوب بحر الصين " لا اساس له في أي قانون دولي. (BibekChand, 2017) أخيرا خذر رئيس وزراء الهند، نارياندا مودي، على الرغم من الجهود المبذولة للحفاظ على علاقات مستقرة مع الصين، من سياسات الصين الحازمة فإن «الحاضر لا يقبل موقفا توسعيا «لقد تغير الزمن، يجب على الصين التخلي عن موقفها التوسعي واعتماد عقلية تنموية". (BibekChand، 2017)

من هنا نستنتج معظم دول جنوب شرق آسيا لديها مشكل أمنية مع بعضها البعض، ولكن الذى أخرج تلك المشاكل الأمنية إلى العلن هي بدون شك الصين الشعبية، التنين الأكبر، والمعروفة اليوم في المصطلح السياسي اليوم أمن "جنوب بحر الصين" الغنية بالثروات الطبيعية. لهذا فالدول اليوم هناك تُعزز قدراتها العسكرية خاصة الجانب الأمني. فلأمن هو ضمان واستقرار الدول في أية دولة. حتى الصين اليوم تقول أن أمنها مهدد بدول الجوار، خاصة بعد التحالف الحاصل بين الهند و

اليابان. وعلى هامش الاجتماع السنوي الثاني عشر للقمة الهندية واليابان، العلاقات بين البلدين ذات أهمية كبيرة في سياق آسيا والمحيط الهادئ وعلى وجه التحديد جنوب آسيا، والتي تري فيه الصين خطرا يتعاظم مع الوقت والذى يهدد أمنا واستقرارها. وزاد قلق الصين بعد الاجتماع الذى جري بين رئيس وزراء اليابان شينزو آبي والهندي ناريندرا مودي الذي جري في الهند بين 13-14سبتمبر 2017. (Kazmi, 2017)،توقيت هذا الإجتماع جد مهم حيث أخرجت الهند نفسها من "كان يمكن أن يكون " صراع عنيف مع الصين حول دوكالم. حيث مالت الهند إلى الولايات المتحدة واليابان للتقليل من اعتمادها على الصين. وهذا أيضا يثمل بالنسبة للصين تهديدا لأمنها واستقرارها. اليوم اليابان والهند يأخذان على عاتقهما دور حمل الشعلة من أجل السلام و الازدهار في منطقة آسيا، حيث اتفقتا على تعزيز التعاون الدفاعي والأمن البحري بينهما. (Kazmi، 2017).

3.3 النظرية البنائيةConstructivismTheory :

يعتبرNicholasGreenwoodOnufأول منظر أدخل مصطلح البنائية في نظرية العلاقات الدولية عام 1989، معتبرا أن الدول هي نفسها تماما مثل الأفراد الذين يعيشون في "عالم من صنعنا" وهذا ما جسده في كتابه الشهير: "عالم من صنعنا: القواعد والحكم في النظرية الاجتماعية والعلاقات الدولية" حيث يتم صنع العديد من الكيانات مثل " الحقائق الاجتماعية "، التي تعارض" الحقائق العنيفة"، التي لا تعتمد علي وجودها على العمل البشري، بل هي ظواهر لحالة الإنسان (Behravesh, 2011).

النظرية البنائية هي جوهرية في سلوك العلاقات الدولية، ذلك أنه في نهاية الحرب الباردة مهدت الطريق في ظهور المدرسة البنائية الفكرية، والتي تسببت في إعادة صياغة المناقشات داخل الخطاب السائد في نظرية العلاقات الدولية (Onuf, 2014) .

ومن الأمور المركزية في الحجج البنيوية مفاهيم أساسية مثل: الخطابات والأعراق، الهوية والتنشئة الاجتماعية، التي تستخدم في معظم الأحيان في المناقشات المعاصرة حول مختلف القضايا ذات الاهتمام الدولي، بما في ذلك العولمة وحقوق الإنسان الدولية والسياسة الأمنية(Behravesh, 2011) .

فالنظرية البنائية هي هيكلة للنظام الدولي والذى يقوم على الفرضيات الأساسية التالية :

-الدول هم وحدات التحليل الأساسية لنظرية السياسية الدولية.

-الهياكل الرئيسية في النظام الدولي هي غير موضوعية أكثر مما هي مادية.

-هويات الدول ومصالحها هي جزء مهم مبني علي البنى الاجتماعية، بدلا من أن تعطى بشكل خارجي للنظام من خلال الطبيعة البشرية كما يقول "الواقعيون الجدد " أو السياسة الداخلية كما يقول "الليبراليون " وبالنسبة للبنائيين فإن مفهوم الهوية التي تلعب دورا كبيرا ومهما في التفاعلات بين الأفراد والتفاعل الدولي، حيث يتعاملWendthباعتبارها خاصية ذاتية للجهات الفاعلة التي أنجبت تصرفات تحفيزية وسلوكية والتي تكمن جذورها في فهم الذات.(HenriTajfel, 1986)

ذلك أنه لا توجد لدى الهوية صورة ذاتية أو مستوى وحدوي كما تفهم حول الذات أيضا وفهم الآخرين لها، من هنا تأتي نوعية الهوية المشتركة أو النظامية وبناءها من خلال الهياكل الداخلية والخارجية على حد سواء. إن الحفاظ على هذه الهوية ليس ظاهرة وحدوية قابلة للتعريف العام، حيث يؤكدWendthعلى وجود أنواع مختلفة من الهويات ويناقش أربعة منها :

الأولى هي الهوية كشخصية أو شركة التي تشكلها الهياكل ذاتية التنظيم التي تميز الذات عن الآخر، كما أنّ بناء هذه الهوية في الجهات الفاعلة للشخصية يتضمن إحساسا بالأنا " أنا" أو "الأنا شخصيا " من خلال عمل الوعي والذاكرة فإن بناءه في الشركات الفاعلة مثل الدول يتطلب إحساسا بـ "نحن" أو" مجموعة ذاتية "من خلال تكوين في التسيير المشترك لأنفسنا(Tajfel, 1986) .

الثانية هي هوية النوع التي توضع داخل موقع الهوية الشخصية أو الشركة، ويشير للفئة الاجتماعية أو كما يقولJamesFearonالتسمية المطبقة على الأشخاص الذين يشاركون (أو يعتقد أنهم يشاركون) بعض الخصائص أو الخصائص في مظهر الصفات السلوكية، المواقف، القيم، المهارات (مثل اللغة)، معرفة الآراء، الخبرة، الخصائص المشتركة التاريخية مثل المنطقة أو مكان الولادة ...وما إلى ذلك .

بالنسبة للخصائص المشتركة التي يتم اعتبارها هويات يجب أن يكون لها محتوى اجتماعي وذو معنى، يتم توفيره من خلال قواعد عضوية محددة لمجموعة أو مجتمع على الرغم من أنها تتضمن أيضا خصائص متأصلة في الأساس في أصحابها، ومن ثمّ صفاتهم الاجتماعية والتنظيمية المتزامنة، ولذلك فإنّ هذه الهويات تعتمد في جزء منها على دستورها على تفهم وتصورات الآخرين، ويتطلب هويات النوع في النظام الدولي مع أنواع النظام أو أشكال الدولة مثل الدول الديمقراطية، الثيوقراطية (مناصر للحكم الديني) والملكية والرأسمالية والشيوعية(HenriTajfel, 1986) .

الثالثة هي هوية الدور التي تعتمد على الثقافة والتوقعات المشتركة وعلى هذا النحو فقط فيما يتعلق بالآخرين، وبالتالي لا يمكن تفعيلها من قبل الذات أو من تلقاء نفسها، ولكن يتحقق من خلال شغل الوظائف في البنية الاجتماعية ومراقبة القواعد السلوكية تجاه الآخرين الذين لا يمتلكون الهويات المضادة ذات الصلة، على عكس العديد من منظري دور السياسة الخارجية، ويبدو أنهم تجنبوا دور النظريات في بناء العلاقات الدولية، من هنا يجادلWendthعن وجود علاقة قوية بين الفئتين المفاهمية **(**Wæver**,** 2003**).**

الرابعة وهو الهوية الجماعية التي تؤدي إلى تحديد الهوية الذاتية والآخر من خلال إخفاء التمييز بينهما، بمعنى أنّ الذات تصنف بأنها هي الأخرى تكوّن الهوية الجماعية، ويجعل استخدام هويات الأدوار والنوع ولكنها تتجاوزها أيضا عن طريق دمج الذات والآخر في هوية واحدة تحدد فيها الفئات الفاعلة (رفاهية الآخر كجزء من الذات وبالتالي تتصرف بطريقة خالية من الأنانية) **(**Behravesh**,** 2011**)**، وإذا كانت الهويات تحكي من هم الفاعلون فإنّ المصالح تحدد ما يريده الممثلون وتوضح دور فهم السلوكية **.**

يجادلAlexanderWendthويفترض مسبقا أن الهويات هي الفاعل لا يستطيع معرفة ما يريده حتى يعرف من هو، ولأنّ أصحاب الهويات هم درجات متفاوتة من المستوى الثقافي حتى المصالح، لكن المصالح الغائبة تفتقد للهويات وإلى قوة التحفيز ولا يمكنها تفسير الإجراء الناجم عن مزيج من الرغبة والإيمان(Behravesh, 2011**)** **.**

على سبيل المثال، هوية دولة صغيرة قائمة مجموعة من المصالح التي تختلف عن تلك التي تنطوي عليها دولة كبيرة. يمكن القول أن الدولة الصغيرة ترتكز بشكل أكبر على بقائها، في حين أن الدول الكبيرة معنية بالسيطرة على الشؤون السياسية و الاقتصادية والعسكرية العالمية، تجدر الإشارة إلى أن تصرفات الدولة يجب أن يتماشى مع هويتها. فالدولة لا يمكن أن تتعامل مع الذي يعادي أو يمس هويتها **.** **(**Theys**,** 2018**)**في فنلندا هي دولة صغيرة لكن الهوية بالنسبة لها جد مهمة، لأنها تتمحور حول الدولة وموجهة نحو السيادة. منذ انضمامها للاتحاد الأوروبي تبنت فنلندا نهج المجموعة وتعاونت بشكل مكثف مع الأخريين ولديها نهج موحد في شؤون الاتحاد الأوروبي داخليا **(**Tiilikainen**,** 2007**) .**في بعض الأحيان تتصادم المصالح الداخلية والضغط الخارجي، وعادة ما يسمح لفنلندا بالعمل داخل الاتحاد الأوروبي**.**

كما طورت بوتان Bhutan، هوية وطنية متميزة عن جيرانها، هذه الهوية تصور بوتان على أنها" أخر مملكة ماهايانا البوذية المستقلة الباقية في العالم. إن استخدام كلمة

"مستقل «تشير مباشرة إلى المصلحة بوتان –الحفاظ على سيادتها الوطنية. بداية بناء الهوية الوطنية لبوتان اجتماعيا في الثمانينيات من القرن الماضي، حينما قدم الملك الرابع لبوتان سياسة «أمة واحدة وشعب واحد" (Theys، 2018) طالبت هذه السياسة بالالتزام بقواعد السلوك المعرفة باسم DriglamNamzhag،تم بناء مدونة السلوك على أساس التقيد الصارم بالعهود-مثل الولاء القوي للقرابة واحترام الوالدين والشيوخ والرؤساء والتعاون المتبادل بين الحكام والمحكومين. (Tiilikainen، 2007) ، هنا لابد من الإشارة أن مزيج من الهويات المتنافسة يمكن أن يضعف مؤسسات الدولة ومن الممكن أن تكون هذه المشاكل أكثر قوة وحدة في الدول الهشة؛ فوجود الهويات المتنافسة يضعف شرعية الدولة التي تعتمد على التماسك الاجتماعي والإجماع حول الهوية الوطنية. الهويات المنقسمة تجعل من الصعب تشكيل بيروقراطية سياسية. تُقوض التجزئة السياسية فعالية المؤسسات غير الرسمية، يمكن أن تبني هذه الثقة الاجتماعية التي تسهل التعاون الاقتصادي والسياسي المنتج. (Kaplan, 2009) هنا لا بد من إضافة شيء مهم وهو أن الهويات الممزقة تؤدي في غالب الأحيان إلى تشجيع الانتهازية وهو ما ينعكس على الاستثمارات البعيدة الأجل، الكثير من الدول العربية في المشرق العربي ممزقة إما في العرق أو اللغة أو الدين أو في عدة مجالات؛ لبنان خير دليل على ذلك، لا ننسى أن نشير لبعض الدول الآسيوية كماينمار (Myanmar)،وبعض الدول الإفريقية كالكونغو الديمقراطية.

4. دور الأمن الهوياتي في بناء الأمم

لتتضح هذه المقاربة جلياً لا بد من الإشارة إلى المنظر فرانسيس فوكو ياما حيث يرى أن الهوية الوطنية جد محورية لثروات الدول الحديثة. فعندما يتم توجيهها في شكل قومي عرقي وغير متسامحة، يمكن أن تؤدي إلىأعمال الاضطهاد والعدوان. ومع ذلك، يمكن أيضًا بناء الهويات الوطنية حول القيم السياسية الليبرالية والديمقراطية، وحول التجارب المشتركة للمجتمعات المتنوعة، على عكس الحجج القائلة بأن مفاهيم الهوية الوطنية وسيادة الدولة قد عفا عليها الزمن، فإن هذا الإحساس الشامل بالهوية الوطنية يظل حاسمًا للحفاظ على نظام سياسي حديث ناجح.

لا تعزز الهوية الوطنية الأمن المادي فحسب، بل تلهم أيضًا الحوكمة الرشيدة، يسهل التنمية الاقتصادية، يعزز الثقة بين المواطنين، يولد الدعم لشبكات الأمان الاجتماعي القوية؛ وفي النهاية تجعل الديمقراطية الليبرالية ممكنة بحد ذاتها. **(Fukuyama, 2018)**

فرانسيس فوكو ياما، الذي تنبأ عام 1992 ب "نهاية التاريخ" لأن الديمقراطيات الليبرالية واقتصادات السوق الحرة اقترحت نقطة نهاية في تطور الحكومة، قال إن القوى الخارجية يمكنها إقامة الهيكل العظمي للدولة في بلد محاصر، وإنشاء قوات شرطة والسلطات الضريبية. لكن بناء الأمة يذهب إلى أبعد من ذلك ويتضمن إحساسًا مشتركًا بالهوية الوطنية، مبنيًا على عناصر تربط الناس معًا - مثل الثقافة واللغة والتاريخ المشتركين - والتي لا يمكن فرضها من الخارج. **(Powell, 2012)**

يرىفوكو ياماأن الدول الكبيرة والمتنوعة لديها خلاف أصعب في خلق هويات وطنية. إذ تعد نيجيريا مثالا على ذلك، حيث تم بذل القليل من الجهد في بناء الدولة، مما أدى إلى خلل وظيفي وعنف بين الجماعات، في حين أن الولايات المتحدة هي مثال على أمة متنوعة حيث يشعر الناس بالهوية الوطنية ليس بسبب العرق المشترك أو طويل الأمد التاريخ الثقافي، ولكن بسبب مجموعة مشتركة من المثل العليا.

في إندونيسيا تم استيعاب الثقافات المستقلة عبر 11000 جزيرة والعديد من المجموعات القبلية،وفي تنزانيا في هوية وطنية صاغتها الحكومات الاستبدادية. كان من الضروري تدريس لغة مشتركة في جميع المدارس، وهو عامل رئيسي في بناء الهوية الوطنية. قارن فوكوياما هاتين الدولتين مع نيجيريا وكينيا، حيث لم يتم تطبيق جهود بناء الدولة بيد قوية وحيث كان العنف بين الجماعات يمثل مشكلة في نيجيريا.

5. خاتمة:

لقد تعددت النظريات التي تحدثت حول مفهوم الهوية ودورها في بناء العلاقات الدولية، خاصة مع نهاية الحرب الباردة، ومن أبرز تلك النظريات والتي فرضت نفسها نجد النظرية البنائية، ودور الهوية، والثقافة، واللغة، والعادات والتقاليد في صناعة قرارات الدولة ضمن الهوية والعادات والتقاليد، وتأثيراتها في العلاقات الدولية. بينما النظرية التأمينية فلقد حدد منظرو هذه النظرية التأمينية فيها خمس قطاعات: الاقتصادي، المجتمعي، العسكري، والبيئي، والسياسي في كل قطاع يتم التعبير عن تهديد محدد لتهديد الكائن المرجعي، لديه هوية، وثقافة واللغة والذين هم عوامل أساسية في البنا ء المؤسساتي للدولة، مهما كانت طبيعة الفئة الاجتماعية التي شكلت تلك القوانين، فهي بدون شك تحترم الأقليات المتواجدة داخل حدودها الإقليمية. أما نظرية الأمننة فتبين لنا أنّ سياسة الأمن الوطني ليست طبيعية، لكن تم تحديدها بعناية من قبل السياسيين وصناع القرار في الدول: فالسياسة لها تهديد أمني يجب أن يأمن، الاقتصاد له تهديد أمني يجب أن يأمن، وللهوية أيضا تهديدات أمنية، داخلية

وخارجية، تتأثر و تؤثر بالمحيط التي تتواجد فيه. أما النظرية التي طرحت في هذه الورقة هي نظرية الهوية الاجتماعية، والتي ترى أنّ إحساس الشخص بهويته يعتمد على المجموعات التي ينتمي إليها ذلك الشخص، باعتبار أنّ السلوك الاجتماعي يقع بين سلسلة متواصلة مستمدة من السلوك الفردي إلى الأشخاص ثم السلوك بين المجموعات.

5. قائمة المراجع:

Baldwi, D. N. (1997).The concept of security.5-25.

Behravesh, M. (2011, 2 03). Constructivism: An Introduction. Retrieved from https://www.e-ir.info: https://www.e-ir.info/2011/02/03/constructivism-an-introduction/

Bibek Chand, Z. G. (2017, 04 24). Power Politics and Securitization: The Emerging Indo–Japanese Nexus in Southeast Asia. Retrieved from https://onlinelibrary.wiley.com/: https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1002/app5.180

Buzan, B. (1991). New Patterns of Global Security in the Twenty-First Century. International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-), 431-451.

Chi, R. (2015).Understanding social identity theory.Retrieved from https://www.futurelearn.com.

Elnur Hasan Mikail, C. E. (2016). Identity in Security Studies. Open Journal of Political Science Vol.6 No.4, 339-344.

Eroukhmanoff, C. (2018, 1 14).Securitisation Theory: An Introduction. Retrieved from https://www.e-ir.info/: https://www.e-ir.info/2018/01/14/securitisation-theory-an-introduction/

Gearon, L. F. (2019, 4 19).Religion, Education, Security. Retrieved from https://www.mdpi.com/: https://www.mdpi.com/2077-1444/10/5/330/htm

Henri Tajfel, J. C. (1986). The Social Identity Theory ofIntergroup Behavior. Retrieved from http://christosaioannou.com/: http://christosaioannou.com/Tajfel%20and%20Turner%201986.pdf

Ines Meyer, K. D. (2016, 06). Social Identity Theory as a Theory of Change: The Case of South Africa. Retrieved from https://www.researchgate.net/:

https://www.researchgate.net/publication/304054548_Social_Identity_Theory_as_a_Theory_of_Change_The_Case_of_South_Africa
Kaplan, S. (2009). Identity in Fragile States: Social Cohesion and State building. Retrieved from https://gsdrc.org: https://gsdrc.org/document-library/identity-in-fragile-states-social-cohesion-and-state-building/
Kazmi, S. (2017, 09 29). Indo-Japan nexus: Implications for China and the CPEC. Retrieved from https://foreignpolicynews.org/.
McLeod, S. (2019, 10 24).Social Identity Theory. Retrieved from https://www.simplypsychology.org/: https://www.simplypsychology.org/social-identity-theory.html
Nancy L. Ras, I. D. (2012). A social identity perspective on organizational citizenship behavior: Little room for discretion. Revue internationale de psychologie sociale, 93-119.
Onuf, N. (2014, 05 09). E-International Relations. (R. Denison, Interviewer)
Rowling, C. M. (2019, 05 29).Social Identity Theory and Communication. Retrieved from https://www.oxfordbibliographies.com/: https://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780199756841/obo-9780199756841-0230.xml
STONE, M. (2009). Security According to Buzan: A Comprehensive Security Analysis. Retrieved from http://geest.msh-paris.fr/: http://geest.msh-paris.fr/IMG/pdf/Security_for_Buzan.mp3.pdf
Tajfel, T. (1986).Social Identity Theory.Psychology of intergroup relations, 7-24.Retrieved from https://www.learning-theories.com/.
Theys, S. (2018, 23 18). Introducing Constructivism in International Relations Theory. Retrieved from https://www.e-ir.info/: https://www.e-ir.info/2018/02/23/introducing-constructivism-in-international-relations-theory/
Tiilikainen, T. (2007). Finland — An EU Member with a Small State Identity. Journal of European Integration, 73-87.
Twente, U. o. (2003-2004).Communication theories. Retrieved from https://www.utwente.nl/: https://www.utwente.nl/.uc/f32b97e4401021a2d8f00d5e2e5030c0add13d6eed6e400/Communication%20Theories%20University%20of%20Twente%20-%20UTwente%20-%20The%20Netherlands.pdf

Wæver, B. B. (2003). Regions and Powers The Structure of International Security. New York: Cambridge UniversityPress.